آليات تشكل القيم في المجتمع المصري

دراسة ميدانية

ملخص الدراسة

لقد شهد المجتمع الدولي تغيرات عالمية ، ومما لا شك فيه أننا في مجتمعنا المصري نتأثر بهذه التغيرات العالمية . خاصة وما نعاصره من عولمة وافدة إلينا ، وما يطرأ علينا من تغيرات من جراء هذه العولمة بل وهذه الكوكبة التي أصبحنا نعيش بداخلها ولا نستطيع الخروج عن قالبها . ولعل هذا التغير يؤثر على القيم التي تؤمن بها والتي ندعمها لأبنائنا ، وذلك من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية وأهمها (الأسرة) وعبوراً بالجهاز التعليمي (المدرسة) ، واعتبارا الدين مصدراً أساسياً للقيم والمتمثل دوره في (المسجد) ، بالإضافة الى دور الإعلام ووسيلته (التلفاز) وتأثيره القوي على الأفراد خاصة الأطفال والشباب .

ويتمثل موضوع الدراسة في معرفة الآليات باعتبارها وسائل تربوية ومؤسسات لتدعيم القيم وتشكلها ، وذلك من خلال معرفة تلك الآليات ، ودور كل آلية أثناء أداء مهمتها لتدعيم وتشكيل القيم ، فأثناء تدعيم كل آلية من آليات الدراسة للقيم (موضع الدراسة) فهل تدعمها بطريقة تساعد على تدعيم هذه القيم وتشجيعها والإنجاز والرقي في هذه القيم أم بطريقة تعكس إهمال هذه القيمة وانحدارها في مقابل قيم أخرى .

ومن الآليات الأساسية أو الوسائل التربوية التي تلعب دوراً هاماً في تشكيل وعي وقيم الأفراد المستخدمة في هذه الدراسة ما يلي :

الأسرة : باعتبارها مؤسسة التنشئة الاجتماعية الأولى والبيئة الأولية ، وهي أول ما يخط في صفحة القيم ، وأول مؤثر في تعليم الأبناء للقيم – المدرسة : الجهاز التعليمي وهي ثاني مؤسسة تعليمية تستقبل الفرد أو الطفل بعد الأسرة ، حيث فيها يخرج الطفل الى مجتمع أوسع وفيه تتعدد مصادر التلقي من غير الأسرة ويزداد محيط العلاقات الاجتماعية للأبناء – الدين : دور العبادة والمتمثل دوره في (المسجد) وذلك باعتبار الدين مصدراً أساسياً في تشكيل القيم لا يمكن أن نغفل عنه ، فهو الذي يوجه سلوكنا في المواقف المختلفة وذلك من خلال جدولة القيم التي نتبناها - الإعلام : ووسيلته (التلفاز) والذي أصبح يؤثر في تشكيل القيم لدى الأفراد بطريقة أسرع وأسهل من أي وسيلة أخرى للتنشئة الاجتماعية ، إذ يجتمع فيه سهولة التلقي وسرعة الانتباه والاستجابة لما يبثه .

وحيث أن القيم من الكثرة فتنصب دراستنا عن بعض القيم المحددة والمستخدمة في هذه الدراسة وهي : (قيمة الأسرة والترابط الأسرى والزواج - قيمة العمل – قيمة التعليم – قيمة الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي) ، ونشير هنا الى أنه تم اختيار تلك القيم موضع الدراسة وذلك بناءا على أن كل قيمة مأخوذة من نسق فرعي من الأنساق الأساسية التي يتكون منها المجتمع المصري ، فتم اختيار قيمة الأسرة والترابط الأسري والزواج باعتبارها أهم القيم الموجودة في النسق الاجتماعي ، وتم اختيار قيمة العمل من النسق الاقتصادي نظراً لأهميتها في هذا النسق في ظل الظروف التي نعاصرها اليوم ، كما تم اختيار قيمة التعليم من النسق الثالث وهو النسق الثقافي ، أيضاً لأهمية هذه القيمة وارتباطها بقيمة العمل ، وأخيراً تم اختيار قيمة الديمقراطية وحرية التعبير عن الرأي من النسق الرابع وهو النسق السياسي . وبذلك تشمل قيم الدراسة كافة أنساق المجتمع المصري .

كما أنه يتم دراسة هذه القيم من خلال المتغيرات الآتية : (واقع قيمي ناتج من هذه القيم التي تدعمها وتشكلها تلك الآليات – اتجاهات الأفراد نحو هذه القيم التي تغرسها تلك الآليات – من خلال القيم التي نكتسبها ونستقصيها من تلك الآليات التي تغرسها وتشكلها للأفراد) .

وترجع أهمية هذه الدراسة الى معرفة الدور الذي تلعبه هذه الآليات خاصة في ظل الظروف التي مر بها المجتمع المصري اعتباراً من النصف الثاني من القرن العشرين والتي جعلت هذه الآليات تختلف في أدائها لدورها ووظائفها

عما كانت عليه من قبل ، وبالتالي قل تأثيرها على الأبناء ، في الوقت الذي تصاعدت آليات أخرى لتحتل مركز الصدارة ويزداد تأثيرها لتدعيم وتشكيل القيم عند الأفراد في المجتمع المصري .

والتوجه النظري المستخدم في هذه الدراسة هو اتجاه العالم رونالد انجلهارت ونظريته لقيم الحداثة وما بعد الحداثة ، كما تعرضنا لبعض إسهامات أنتوني جيدنز ونظريته عن التشكيل وثنائية البنية ، وفلسفته للطريق الثالث .

كما اعتمدت الدراسة الميدانية على دراسة أحياء مختلفة من المجتمع المصري والتي تم اختيارها من محافظة القاهرة ، بحيث تنوعت الأحياء المدروسة من أحياء متدنية أو فقيرة (حي منشأة ناصر) وأخرى متوسطة (حي السيدة زينب) وثالثة تمثل حي راقي (حي النزهة) ، وقد تم اختيار تلك الأحياء بناءً على آخر تقرير للتنمية البشرية وهو تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٣ .

وتكونت عينة الدراسة من مائة وخمسون مفردة قسمت بالتساوي على الأحياء الثلاث بحيث كان نصيب كل حي خمسون مفردة بالتساوي ، وقد تم اختيار هذه العينة بشكل يضمن فيه تنوع كافة المتغيرات المختلفة سواء العمرية والمهنية ، الحالة التعليمية ، النوع ، مستوى الدخل .. وغيرها بشكل يمثل مجتمع الدراسة بكل مستوياته وشرائحه المختلفة .واستخدمت استمارة الاستبيان كأداة أساسية لجمع البيانات ، كما اعتمدت الدراسة على تحليل البيانات وتفسيرها تحليلاً كمياً للجداول الإحصائية ، وتحليل نفس هذه الجداول الإحصائية تحليلاً كيفياً .

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

نجد تراجعاً لبعض الآليات مثل آلية الأسرة (مؤسسة التنشئة الاجتماعية الأولى) حيث نجد دورها في التأثير بدأ يتضاءل ولم يعد لها نفس التأثير الذي كانت تمارسه من قبل ، خاصة على الأبناء . كما تراجعت أيضاً آلية المدرسة (الجهاز التعليمي) على الرغم من أهميته باعتباره ثاني مؤسسة تعليمية تستقبل الابن من الأسرة ويكون لها تأثير واضح على قيم الأبناء وعلى سلوكياتهم ، إلا أن التضارب الذي يجده الأبناء في القيم التي تلقنها من الأسرة ، والقيم التي يكتسبها من المدرسة جعلت الأبناء يفقدون الثقة فيها ، ولا تؤدي دورها في التأثير على الأبناء .

كما نجد تقدماً وتصاعداً لآليات أخرى في أدائها لدورها واستطاعت أن تكتسب الأبناء والأفراد إليها وهي المؤسسة الدينية واعتبارها مصدراً أساسياً لتشكل قيم الأفراد والثقة فيها دون أي محاولة للشك والصدق فيها . أيضاً نجد تقدماً لآلية الإعلام ووسيلته المؤثرة على الجميع (التلفاز) حيث اصبح أداة لتلقين القيم والسلوكيات لدى الأفراد دون وعي الأفراد بذلك وبدون أي محاولة للحوار والمناقشة بل للاكتساب والتقليد في كثير من الأحيان دون حتى الفهم بما يقلدونه .